شرح قصيدة سائل العلياء عنا

إنَّ قصيدة سائل العلياء عنا من أشهر قصائد الشاعر بشارة الخوري وقد بدأها بقوله: سائل العلياء عنا والزمانا هل خفرنا ذمَّةً مُذْ عرفانا، وهي من قصائده الوطنية التي كتبها عن فلسطين وبطولات أبنائها وتضحياتهم، ويبلغ عدد أبيات القصيدة 29 بيتًا، فقد نظمها الشاعر على بحر الرمل وقافية النون مع ألف الإطلاق، وفيما يأتي سوف يتم إدراج الشرح بشكل مفصل:

سائل العلياء عنا والزمانا
هل خفرنا ذمَّةً مُذْ عرفانا
المروءاتُ التي عاشت بنا
لم تزل تجري سعيراً في دِمانا

يبدأ الشاعر بشارة الخوري قصيدته بأسلوب الطلب، حيث يقول: اسألوا عنا الزمان والعلياء أو الدهر والمكارم والبطولات على مر التاريخ والعصور، عنا نحن العرب على وجه العموم والفلسطينيون على وجه الخصوص هل نقضنا عهدًا في يوم من الأيام أو أخلفنا موعدًا كنا قد أخذنا ميثاقه على أنفسنا، وهذا تأكيد على أننا لم ننقض العهود ولا المواثيق لأنَّ نقضها من صفات الجبناء والضعفاء، حيث يمدح الشاعر الشعب الفلسطيني بالمحافظة على العهود والمواثيق.

ضجَّت الصحراء تشكو عُرْيَها
فكسوناها زئيراً ودُخانا
ضحك المجدُ لنا لما رآنا
بدم الأبطال مصبوغاً لِوانا

بعد ذلك ينتقل الشاعر للحديث عن المعارك والحروب في سبيل التحرير والحرية فيقول: لقد ارتفعت أصوات الصحاري استغاثةً وفزعًا وكل المناطق في كل مكان بسبب الخراب الذي أوصلها إليه المستعمر والمعتدي، فأتينا نحن وألبسناها ثيابًا من نيران ودخان بجهادنا وكفاحنا، وكان المجد والنصر والإباء يضحك في وجوهنا عندما رآنا مقبلين على الموت أبطالًا لا نهاب في سبيل تحرير أوطاننا وبلادنا أحدًا، وعندما رآى دماءنا تصبغ بألونها البلاد.

عرسُ الأحرار أن تسقي العِدى
أكؤساً حُمراً وأنغاماً حزانى
يا جهاداً صفّق المجد له
لبس الغارُ عليه الأرجوانا

إنَّ فرحة الشبان والأبطال الأحرار الذي يسعون إلى تحرير أوطانهم هي يوم يفتكون بالأعداء ويذيقونهم كوؤس الموت الحمراء ويجعلون أيامهم حزينة تعيسة، يا أيها النضال العظيم والتضحيات الكبيرة التي صفق لها المجد والنصر وأكف العزة والإباء في كل مكان، وقد لبست أكاليل الغار على رأسه الأرجوان وألوان دماء الشهداء للوصول إلى النصر والفرح والحرية.

شرفٌ باهتْ فلسطينٌ به
وبناءٌ للمعالي لا يُدانى
إن جرحاً سال منْ جبهتها
لثمتهُ بخشوع شفتانا
وأنيناً باحت أنْجوى به
عربياً رشفتهُ مقلتانا

لقد افتخرت فلسطين بهذا النضال والجهاد الكبير والذي يعد طريق المجد والحرية والإباء، وهو بناء عظيم للوصول إلى المعالي ومنزلة الشموخ التي لا تضاهيها منزلة، ثم يؤكد الشاعر على الوحدة العربية بقوله: إنَّ الجرح الذي يسيل من فلسطين وكل مصاب يصيبها كأنه يصيبنا نحن العرب، فنسارع إلى تقبيله لأنه جرح مقدس كان في سبيل الحرية وطرد الاستعمار، وكل أنين عربي تبوح به فلسطين نسارع إلى احتوائه لأننا جسد واحد.

يا فلسطين التي كدنا لما
كابدته من أسىً ننسى أسانا
نحن يا أختُ على العهد الذي
قد رضعناه من المهد كِلانا
يثربٌ والقدسُ منذُ احتلما
كعبتانا وهوى العرب هوانا

أيتها الحبيبة القريبة فلسطين، لقد أوشكنا بسبب معاناتك الكبيرة ومآسيك الجليلة أن ننسى مصاعبنا ومآسينا الشخصية وذلك لحبنا لك ولأنك بلدنا ووطننا أيضًا، ونحن على عهدنا الذي حملناه معنا منذ آلاف السنوات، وقد رضعته هذه البلاد جميعها منذ كانت في مرحلة النشوء والتطور والظهور، وما تزال حتى اليوم المدينة المنورة -وأراد الجزيرة العربية- والقدس هما كعبا المسلمين في كل مكان، فقد كانت القدس

القبلة الأولى للمسلمين، وما تزال تحمل مكانة عظيمة في نفوس العرب جميعهم من مسلمين ومسيحين في جميع أنحاء العالم، وهواها يطغى على كل هوى في نفوسهم.

شرفٌ للموت أن نطعمه
أنفساً جبارة تأبى الهوانا
وردةٌ من دمنا في يده
لو أتى النار بها حالت جنانا
انشروا الهول وصُبّوا ناركمْ
كيفما شئتم فلن تلقوا جبانا
غذّتِ الأحداثُ منّا أنفُساً
لمْ يزدها العنفُ إلاّ عنفوانا

إنَّه لشرف كبير وفخر لا يضاهى للموت أن يخطف أرواحنا ونحن نضحي بأنفسنا في سبيل أوطاننا رافضين الذل والهوان، لأن أنفسنا هي أنفس جبارة عتيدة عتية على الطغاة تسعى إلى المجد ولا تتوانى عن الوصول إليه، وإنَّ دماءنا وردة في يده لو جاء بها إلى نار ملتهبة لتحولت إلى جنات ساحرة، فيا أيها الغزاة والطغاة املأوا الأجواء تهويلًا ورعبًا وألقوا بنيرانكم وغضبكم وحقدكم علينا فلن تجدوا بيننا جبانًا واحدًا، فقد صنعت تلك الأحداث التي مرت بنا رجالًا لا يهابون الموت ولم يزدهم العنف والقتل والتخويف إلا إباءً وعزة وعنفوانًا للدفاع عن أرضهم وأهلهم.

الصور الفنية في قصيدة سائل العلياء عنا

لقد احتوت قَصيدة سَائل العلياء عنا على العديد من الصور البلاغية والفنية التي تضفي على المعاني لمسات فنية وجمالية وتقدمها إلى القراء بطريقة بديعة وعذبة، وتُستخدَم الصور البيانية في الشعر العربي بشكل كبير ولها العديد من الأنواع مثل التشبيهات والاستعارات والتوكيد والطباق والكنايات وغيرها، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية والبلاغية في قصيدة سائل العلياء عنا للشاعر اللبناني بشارة الخوري:

- **أسلوب الكناية**: كنَّى الشاعر عن معاني كثيرة من خلال عبارات أو ألفاظ حيث استخدمها في غير المعاني الأصلية التي وضعت لها، كما في قوله: إن جرحاً سال منْ جبهتها لثمتهُ بخشوعٍ شفتانا، كنى الشاعر بهذا البيت عن وحدة الآلام العربية وأن كل العرب يشعرون بآلام فلسطين.
- **أسلوب الطباق**: ورد أسلوب الطباق في القصيدة أكثر من مرة كما في قول الشاعر: ضجَّت الصحراء تشكو عُرْيَها فكسوناها زئيراً ودُخانا، فقد ذكر كلمة عريها ثم كلمة كسوناها وهما متعاكستان في المعنى.
- **استعارة مكنية**: وردة الاستعارة المكنية في قوله: ضحك المجدُ لنا لما رآنا بدم الأبطال مصبوغاً لِوانا، فقد شبه الشاعر المجد بالإنسان الذي يضحك، ولكنه حذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى على واحدة من صفاته وهي الضحك، وأبقى أيضًا على المشبه وهو المجد وهي استعارة مكنية، كما في قوله أيضًا: ضجَّت الصحراء تشكو عريها، فقد شبه الصحراء بالإنسان الذي يصرخ ويستغيث، ولكنه حذف الإنسان وأبقى على إحدى صفاته.

معاني المفردات الصعبة في قصيدة سائل العلياء عنا

إنَّ العديد من القراء في العالم العربي يعانون من صعوبات في معرفة معاني بعض كلمات قصائد الشعراء العرب وخصوصًا القصائد القديمة، لأنَّ العديد من الكلمات التي يستخدمها الشعراء في القصائد غير مستخدمة في الحياة العامة، ونظرًا للفارق الكبير بين اللهجات العامية واللغة العربية الفصحى المستخدمة في القصائد والأدب العربي فإنَ الصعوبة تزداد في فهم بعض الكلمات، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح أهم المفردات في قصيدة سائل العلياء عنا:

المفردة	شرح المفردة
خفرنا	نقضنا وأخلفنا
ذمة	العهد والميثاق
سعير	نيران ملتهبة
الغار	نبات يشير إلى المجد والإباء
الأرجوان	اللون البنفسجي والذي يشبه لون الدم
لثمته	قبلته

رشفته	امتصته وشربته
كابدته	عانت منه
احتلما	منذ أن تأسستا ونهضتا
تأبى	ترفض
غذت	من التغذية بمعنى نمّتها وجعلتها أكبر وأشد